

## الوحدة الخامسة: الفلسفة وأنماط التعبير (الفصل الثاني) - 2 -

### 1 - 3 - من البرهان إلى الجدل

يعالج أرسطو الجدل وحدوده في كتاب الطوبيقا، محددًا الغرض من ذلك فيما يلي: "إن الهدف من هذه الدراسة، هو إيجاد طريقة نستطيع من خلالها بناء استدلالات انطلاقًا من مقدمات مقبولة (endoxon)، بخصوص أي موضوع مطروح للنقاش؛ وعندما نلزم أنفسنا بحجة معينة يجب ألا نأتي بأي شيء متضارب معها" ( The goal of this study is to find a method ) with which we shall be able to construct deductions from acceptable (endoxon) premisses concerning any problem that is proposed and – when submitting to argument ourselves – will not say anything inconsistent. بما أنه من غير الممكن استخدام الاستدلال البرهاني في بعض الحالات التواصلية بين الناس (المناقشة بخصوص موضوع ما مثلاً)، فإن الاستدلال الجدلي أتى حسب أرسطو كمحاولة للتعويض عن هذه المحدودية، وبالتالي "ابتكار" استدلال يمكن من الاقتراب إلى اليقين بخصوص بعض الموضوعات.

ورغم أن أرسطو هو من وضع حدود الجدل وفصل في طبيعة مقدماته، إلا أنه اعتمد كثيرًا في ذلك على سابقه. فالكتاب يبقى عبارة عن محاولة للوقوف على الهيكل العام، و الخطوط العريضة للمحاورات السقراطية، واستخراج المنطق الذي ينظمها. وبذلك فأغلب ما حدده أرسطو عن الجدل، فقد سبق ومارسه سقراط مع محاوريه.

### 1 - 3 - 1 مقدمات الجدل

الملاحظ أن أرسطو غالبًا ما كان يقابل بين الاستدلال الجدلي والاستدلال البرهاني، مع التأكيد على أن الفرق يتجلى في خصوصية مقدمات كل منهما، وليس في طبيعة الاستدلال نفسه.

فإذا كانت مقدمات البرهان يجب بالضرورة أن تكون صحيحة وأولية، فإن مقدمات الاستدلال الجدلي، يجب فقط أن تكون مقبولة أو ذائعة. بمعنى آخر، يكون الاستدلال برهانيا متى كانت الحقيقة كخاصية من خصائص قضايا المنطقية، مستقلة عن الآراء الشخصية، وموضوعية تجريدية. أما الاستدلال الجدلي، الذي تتأسس مقدماته المنطقية على آراء جرى الاتفاق حولها من قبل الجميع أو الغالبية من النخب، والشخصيات البارزة والأكثر أهمية من بين الفلاسفة، فيهدف إلى تأييد أو دحض ما يطرح للنقاش من آراء ودعاوى.

وبذلك فإن الاستدلال الجدلي يفترض فعل الإقناع بأطروحة معينة أو دحضها، بهدف تغيير/ ترسيخ وجهة نظر المتلقي حول الموضوع. فعلى خلاف الاستدلال البرهاني، نجد أن الاستدلال الجدلي لا يمكن أن يكون موضوعيا تجريديا، لأن فاعليته تقوم على أساس مدى ما يحققه من تأثير في ذهن الإنسان، ما دام الهدف هو التأثير على المتلقي. وأيضا من بين الاختلافات الأخرى بين مقدمات البرهان ومقدمات الجدل، هو أن هذه الأخيرة تأتي عبارة عن أسئلة بينما مقدمات البرهان تأتي عبارة عن تأكيدات.

### 1 - 3 - 2 - استعمالات الجدل

فإذا كان الغرض من البرهان هو إنتاج العلم والحقيقة، فإن للجدل ثلاثة استعمالات حسب أرسطو، وهي: الرياضة الفكرية، والتواصل أو المناقشات، والعلوم الفلسفية. يقول عن هذا في كتاب الجدل: "ينبغي أن نبين عدد وطبيعة الفوائد التي يمكن أن نجنيها من هذا الكتاب. إن فوائده ثلاثة، وهي تتمثل في الرياضة الفكرية، وفي التواصل مع الآخر، وفي المعارف ذات الطبيعة الفلسفية. فكونه مفيدا في الرياضة الفكرية فهذا يعود، بكامل الوضوح، إلى طبيعة أننا نستطيع، حينما نكون متمكنين من المنهج، أن نحاجج بسهولة بصدد الموضوع الذي يطرح علينا. أما كونه مفيدا في التواصل مع الآخر فإن هذا يفسر بما يلي: فبعد إعداد سجل الآراء العامة التي هي آراء عموم الناس، نستطيع أن نخاطبهم ليس انطلاقا من الافتراضات التي هي غريبة عنهم، ولكن انطلاقا من تلك التي يسلمون بها، حينما نريد إقناعهم بالتخلي عن التأكيدات التي تبدو لنا غير مقبولة. وكونه مفيدا أخيرا للمعارف ذات الطبيعة الفلسفية، لأننا إذا تمكنا من إثارة صعوبة لإحداها

وأخرى مناقضة فإننا سنتمكن بسهولة من وضع اليد على الصحيح والخطئ في كل مادة. علاوة على ذلك فإن عملنا مفيد للمبادئ الأولية لكل علم. إذ من المتعذر أن نقول أي شيء انطلاقاً من المبادئ الخاصة للعلم الذي نخوض فيه، إذ إن هذه المبادئ هي الأولية مقارنة بما عداها، من الضروري إذن، إذا شئنا معالجتها، اللجوء إلى ما هو متوافر من الأفكار المقبولة بصدد كل واحد من هذه المفاهيم. تعود هذه المهمة بالخصوص إلى الجدل وحده، أو على الأقل إلى الجدل في الأساس ولهذا فإن اختصاصه التحليلي يفتح له السبيل إلى مبادئ كل المعارف العلمية"

### الرياضة الفكرية / التعليم:

يكون الجدل هنا بمثابة رياضة عقلية مفيدة للنقاش مع الآخرين. وهو التقليد الذي كان شائعاً زمن أرسطو، حيث يتخذ واحد من بين المجادلين دور المجيب، بينما يتخذ الآخر دور السائل. تنطلق الإجابة بالتأكيد والموافقة أو الرفض والنفي لبعض المقدمات، بعدها يطرح السائل أسئلة انطلاقاً من الجواب الأول للمجيب، بناء على الجواب الأول يضع السائل السؤال الثاني، ليتلقى الجواب الثاني، ثم سؤالاً ثالثاً فجواب ثالث، ويستمر الحوار على هذا الشكل حتى يتمكن السائل من الإيقاع بالمجيب في التناقض، ومن ثمة دحض موقفه من الموضوع المطروح للنقاش (وهذا هو الهيكل العام للمحاورات الأفلاطونية).

يركز السائل على الأسئلة التي تتطلب الإجابة بنعم أو لا، وفي الغالب تنحصر الإجابة في هذه الصيغة، على الرغم من أنه في بعض الحالات يعترض المجيب على شكل السؤال. كما يجوز للمجيب أن يقدم إجابة طبقاً لبعض الآراء ذات قيمة علمية أو فلسفية معروفة، أو انطلاقاً من أقوال بعض الأشخاص المشهورين كالفلاسفة مثلاً، أو يجيب حسب آرائه الخاصة. ويمكن أيضاً أن يكون هناك حكماً لمسار الجدل، يزكون هذا الطرح أو ذاك. وبذلك تكون ممارسة هذه الرياضة الجدلية بمثابة تمارين لتطوير المهارات الحجاجية (دور تعليمي)، كما يمكن أن تكون أيضاً بمثابة متابعة لمسار بحثي في مشكلة معينة.

### التواصل مع الآخرين / المناقشات:

يشير أرسطو أيضا إلى الجدل كفن اختباري أو محاكماتي إن صح القول. تكون مهمته هنا هي اختبار ادعاءات أولئك الذين يدعون امتلاك المعرفة، في حين أنهم يجهلون طبيعة ما يتكلمون عنه. في هذا الإطار يقوم الجدل بعملية دحض أفكار هؤلاء وادعاءاتهم، انطلاقا من المبدأ القائل بأن من يعرف موضوعا معينا، يجب أن تكون لديه آراء متناسقة حوله. ويبقى دور المجادل هنا هو تبيان تناقضات هؤلاء المدعين، ومن ثمة جهلهم بالموضوع. وبذلك يبقى دور الحجاج الجدلي دور تنفيذي تكذيبي كما كان يؤكد أرسطو دائما.

### الجدل والعلوم الفلسفية:

إذا كان استنتاج تناقض من رأي معين يظهر أن هذا الرأي لا يشكل معرفة، فإن الفشل في استنتاج تناقض ما منه ليس دليلا على أنه صحيح. ومن ثمة لا يستطيع الدحض الجدلي حسب أرسطو أن يؤسس أية قضية. لذلك نجده يصر دائما على أن فن الجدل ليس من المعرفة كما هو متعارف عليها. لكن مع ذلك فإن أرسطو في كتابه هذا يقول بأن فن الجدل يعتبر مفيدا فيما يتعلق بالعلوم الفلسفية، والتفسير الذي يورده هنا يتعلق بالوظيفة التنفيذية. فإذا تم إخضاع آرائنا وآراء الآخرين لكذا فحص تنفيذي، سنكون في وضعية جيدة للحكم على ما يبدو صحيحا وخاطئا.

### استنتاج

نخلص مما سبق إلى أن أرسطو أقام الاستدلال البرهاني على أساس المقدمات الصادقة، بهدف إنتاج معرفة يقينية. لكنه فسح المجال أيضا أمام نوع آخر من الاستدلال قصد مناقشة قضايا لا يمكن لها أن تقوم على مقدمات صادقة أولية، وإنما على مقدمات ذائعة، وهو الاستدلال الجدلي. بالإضافة إلى كل من البرهان والجدل، اعتبر أرسطو أن الخطابة من الأدوات الأساسية الضرورية في أي مجتمع إنساني، نظرا لما تلعبه من دور سواء في المؤسسات الديمقراطية والمحاكم (الخطابة القضائية)، أو في الجمعية الشعبية (الخطابة الاستشارية)، أو في الأولمبيا (الخطابة الاحتفالية).

إلا أن هذه التقسيمات الأرسطوية، والأدوار التي يقوم بها كل فن، سيعاد فيها النظر مع المرحلة المعاصرة، الأمر الذي سيعيد الاعتبار لبعض أنماط التعبير الأخرى ودورها في الإقناع

والتأثير على المتلقي، مع انتفاء أو بالأحرى تداخل الحدود بين المباحث وبالخصوص بين الجدل والخطابة / البلاغة، وهو ما توضحه مقالة مدخل إلى الحجاج للدكتور. محمد الولي

## 1 - 4 - دراسة مقالة د. محمد الولي حول الحجاج

ملاحظة: العدد موجود على شكل Pdf

المقالة واردة في عالم الفكر العدد 2 المجلد 40

أكتوبر - ديسمبر 211 تحت عنوان:

مدخل إلى الحجاج: أفلاطون وأرسطو وشايم بيرلمان

يعالج محمد الولي في هذه المقالة مفهوم الحجاج من خلال ثلاثة محطات أساسية في تاريخ هذا الفن ذي الأصل الإغريقي. مبتدئاً بالمقاربة الأفلاطونية للمفهوم، ومنتهاياً بالمقاربة المعاصرة للحجاج مع شايم بيرلمان، مروراً بالمقاربة الأرسطوية.

## 1 - 4 - 1 مدخل

يبدأ د. الولي مقالته من خلال الإشارة إلى ما يلي:

- تعدد اللغات التي اخترعها الإنسان (اللغة الشفوية، لغة البكم الصم، اللغة الميمية...)، ليؤكد على أن اللغة المقصودة في المناولة هي اللغة الإنسانية الشفوية التي تقبل التدوين الكتابي والتسجيل الصوتي.

- أن اللغة هي أعظم الابتكارات الإنسانية، والخاصية التي تميز الإنسان عن باقي الكائنات الأخرى. وهي التي مكنته من الاستقلال عن العالم المحيط به، وفرض السيادة عليه وتسخيرها لأغراضه.

- إن هذا التحكم والتسخير الذي يبقى هدف اللغة حسب صاحب المقالة، يمكن أن ينصب على الطبيعة والأشياء فنكون حينها بصدده ما يسمى العمل أو التقنية أو العلم، أو يستهدف الإنسان قصد التأثير عليه ويسمى حجاجاً. وبذلك يكون الحجاج هو محاولة التحكم والتأثير في الإنسان بواسطة

اللغة. ولمزيداً من التوضيح وظف مثالا لمدير الأمن في تعامله مع المحتجين، يفرق فيه بين الحجاج والتهديد المادي.

#### 1 - 4 - 2 مكونات الحجاج وموضوعاته

تقتضي الممارسة الحجاجية ثلاثة عناصر هي: الباث والمتلقي والمرجع، أو الإيتوس والباتوس واللوغوس باللغة الأرسطية. ومادام الباث هنا أمام عنصر بشري وليس شيئا ماديا، يريد التأثير عليه وتغيير رأيه، فلا بد أن يأخذ في الاعتبار استعداداته وخلفياته الفكرية والثقافية لإنجاح العملية التواصلية الحجاجية. وعدم أخذ هذا في الاعتبار قد يؤدي إلى سوء فهم الرسالة وبالتالي فشل العملية، وخير مثال على هذا رسالة (أبيات شعر) لعلي بن الجهم في مدح الخليفة المتوكل. أنت كالكلب في حفاظك الود //////////////////////////////////////////////////////////////////// وكالتيس في قراع الخطوب.

من هنا ضرورة تقليص المسافة النفسية والفكرية والإيديولوجية ما أمكن بين الباث والمتلقي، بحيث تصبح ذاتهما أقرب إلى آلتين حسب صاحب المقالة.

إن تقليص المسافة إلى الصفر، أو انعدام الذات في العملية تماما يعني أننا أمام العلم بحيث لا وجود لخلاف. وهنا الفرق بين اللغة الطبيعية ولغة العلم، لأن هذه الأخيرة طهرت من الشوائب الأنفة الذكر كليا وأصبحت اصطلاحية أو تعاقدية لا يختلف بصددها اثنان. وبذلك فهي غير مفيدة للحجاج، مثلما أن اللغة الطبيعية غير مفيدة للعلم. ففي العلم يتم تحديد عنصري الباث والمتلقي (الموضوعية) ويفسح المجال أمام الموضوع / المرجع.

لكن إذا كانت موضوعات الحجاج ليست هي موضوعات العلم، فما هي موضوعات الحجاج؟ للإجابة عن هذا السؤال يعود بنا صاحب المقالة إلى أرسطو من خلال الاقتباس التالي:

"ولنتفق منذ البداية حول هذه النقطة، وهي أن أي نقاش يتخذ موضوعه الأفعال الإنسانية هو بالضرورة بحث غامض وعديم الضبط [...]"، إذ لا يمكن أن نطلب الدقة في الاستدلالات، إلا بقدر ما تقبله المادة التي تطبق عليها. إن أفعال الناس ومصالحهم لا يمكن إخضاعها لأي قاعدة ثابتة ودقيقة [...]"، وإذا كانت الدراسة العامة للأفعال الإنسانية تطرح مثل هذه الصعوبات، فبالأحرى

الدراسة لكل واحدة منها التي ستكون أشد غموضاً لأنها تدرج ضمن فن منتظم، ولا في أي تععيد  
صوري"

نستنتج من قول أرسطو هذا، أن مادة الحجاج هي الأفعال والمصالح الإنسانيين، لما يعترها من  
الغموض وعدم الانضباط لقواعد ثابتة.

**متمنياتي بالصحة والعافية**